خطبة عن التوبة



رافع العنزي

مقالات متعلقة

تاريخ الإضافة: 28/3/2020 ميلادي - 2/8/1441 هجري

الزيارات: 177785

خطبة عن التوبة

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واحذروا معصية الله؛ فإن المعاصي هي سبب كل شر وبلاء؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: 30].

إن المعاصي سببٌ لقسوة القلب، وظلمة الوجه، ومحق بركة الرزق، وهي سبب عذاب القبر، وسبب عذاب النار، كما أن العقوبات السماوية التي يسلطها الله على مَن شاء من الأمم كانت بسبب معصيتهم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ * كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [آل عمران: 10، 11]، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ [الأنعام: 6]، ومن رحمة الله تعالى أنه واسع المغفرة، عظيم الجود والإحسان، يمهل عباده ولا يعاجلهم بالعقوبة، ويدعوهم إلى التوبة ولو بلغ جرمهم ما بلغ؛ كما قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: 53]؛ قال ابن كثير: "هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب منها ورجع عنها، وإن كانت مهما كانت، وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر".

عباد الله، كلنا مذنبون مخطئون، نقبل على الله تارة، وندبر أخرى، المؤمن ليس معصومًا من الخطيئة، وليس في منأًى من الهفوة، وليس في معزل عن الوقوع في الذنب؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((والذي نفسي بيده، لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله، فيغفر لهم))؛ [أخرجه مسلم].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كل بني آدم خطَّاء، وخير الخطَّائين التوابون))؛ [أخرجه أحمد]، إذًا الفرق بين الناس ليس في السلامة من الذنوب، بل في حالهم وتعاملهم معها.

فقد وعد الله المؤمنين بالجنة؛ فقال في وصفهم: ﴿ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾ [ق: 32]؛ والأواب: هو الرجاع إلى الطاعة عن المعاصي؛ قال سعيد بن المسيب: "هو الذي يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب".

عباد الله، إن من أسباب تكفير السيئات وغفران الزلات إتباعها الأعمال الصالحة؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ [هود: 114]، ولقوله صلى الله عليه وسلم: ((أتبع السيئة الحسنة تمحها))، فالصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان - كفاراتٌ لما بينهن ما اجتنبت الكبائر؛ كما ثبت في الحديث الصحيح.

ومن أذنب، ثم قام وتوضأ فصلى ركعتين، غفر الله له؛ فعن أبي بكر الصديق أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((ما من رجل يذنب ذنبًا، ثم يقوم فيتطهر، ثم يصلي، ثم يستغفر الله، إلا غفر الله له، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: 135]))، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((قال الله تعالى: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني، غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني، غفرت لك، يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة))؛ [أخرجه الترمذي].

بارك الله لي ولكم في القرآن...

الخطبة الثانية

عباد الله، إن الله سبحانه ليفرح بتوبة عبده وهو الغني سبحانه؛ فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرةً فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح))؛ [رواه مسلم].

فمن تاب توبة صادقة تاب الله عليه، ولو من الشرك، إذا تاب توبة صادقة مشتملة على الشروط الشرعية، فإن الله يتوب عليه جل وعلا؛ كما قال جل وعلا: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر: 53]، وقد أجمع العلماء على أن المراد بالآية التائبون، من تاب تاب الله عليه، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((التوبة تهدم ما كان قبلها))، وقال عليه الصلاة والسلام: ((التوبة تجب ما كان قبلها))، وقال عليه الصلاة والسلام: ((التائب من الذنب كمن لا ذنب له))، وقال جل وعلا: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: 31]، فبيَّن سبحانه أن التائب مفلح؛ وشروطها ثلاثة:

الشرط الأول: الندم على الماضي، كونه يحزن ويندم على ما مضى منه من المعصية.

الشرط الثاني: إقلاعه منها وتركها لها؛ خوفًا من الله وتعظيمًا لله.

الشرط الثالث: العزم الصادق ألَّا يعود فيها، فأما أن يقول ندمت وهو يفعلها، فليس بتائب، لا بد من الندم على الماضي والترك لها، كونه يقلع منها ويتركها، فإن كانت عقوقًا ترك العقوق، وإن كانت قطيعة رحم ترك قطيعة الرحم، وإن كان معاملة ربوية ترك المعاملة الربوية، وهكذا.

فهذه الشروط الثلاثة لا بد منها إذا تمت وتوافرت، صحت التوبة، ومحى الله عنه الذنب، إلا إذا كان الذنب يتعلق بمخلوقين، فلا بد من شرط رابع، أن يتحللهم أو يعطيهم حقوقهم[1].

وصلوا رحمكم الله على البشير النذير.

---

[1] مستفادة من خطب أخرى.
